قرار رقم 4/ 4

الدستور

السؤال :

ما معنى دستور وكيف يجب أن يكون ؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد:

فمعنى الدستور لغة: القاعدة التي يعمل بمقتضاها (المعجم الوسيط ج 1 ص283) .

وفي الاصطلاح المعاصر: هو مجموعة القواعد الأساسية، التي تبين شكل الدولة، ونظام الحكم فيها، ومدى سلطتها، إزاء الأفراد (المعجم الوسيط ج1ص283) .

أما ما يتعلق بنا كمسلمين، فإن مصدر دستورنا يجب أن يكون من الكتاب والسنة النبوية، اللذين يحتويان على النصوص الثابتة، بالإضافة إلى الإجماع، والقياس، والاجتهاد، ولا يجوز أن يكون للمسلمين قانون يخالف شرع الله عز وجل، فيكون للمسلمين قانون للأحوال الشخصية واحد، وقانون معاملات واحد، وقانون جنائي واحد، وقانون دولي واحد، وأن للحاكم المسلم ومجلس الشورى ترجيح ما يرونه من الأراء التي يتوصل إليها المجتهدون، وبذلك يكون للأمة الإسلامية تشريع واحد؛ دستوري وقانوني موافق لنصوص الشريعة الإسلامية. والدستور علامة على وحدة الأمة الإسلامية، لأن منبعه واحد، وأسسه واحدة.

ومن الأمور التي تناولها القرآن الكريم، وشاركته فيها السنة النبوية، على نحو إجمالي لا تفصيلي، وكلي لا جزئي، الأحكام والمبادئ الدستورية ـ أي المبادئ المتعلقة بشؤون الحكم، ولم يتعرضا لها بالتفصيل ـ لأن مثل هذه الأمور تختلف تطبيقاتها من عصر لعصر، ومن مكان لمكان، ومن مجتمع

لمجتمع، فتناولاها على شكل مبادئ عامة، وتركا للأمة أن تضع تفصيلاتها حسب وقتها وظروفها، على ألا تتجاوز هذه المبادئ، وذلك عن طريق الاجتهاد من ذوي الاختصاص.

والدولة الإسلامية دولة قانونية، يخضع فيها الحاكم والمحكوم لأحكام الشريعة الإسلامية، والسيادة فيها لله وحده، فهو الحاكم الحقيقي ولا حاكم سواه، فالأمر والحكم والتشريع مختص به وحده سبحانه، وما الرسل والأنبياء إلا ممثلين للحاكمية القانونية الربانية، وما الأفراد إلا خلفاء في الأرض، لممارسة الحاكمية السياسية ولتطبيق وتنفيذ الحاكمية القانونية، غير أن هذه الخلافة لا يقصد منها أنها ظل الله، أو البابوية، أو حقوق الملوك الإلهية.

ومهما يكن من أمر، فإننا نوصي بل نؤكد أن تكون المادة الأولى في دستور الدولة القادمة – إن شاء الله – (**العقيدة الإسلامية هي أساس دستور الدولة، بحيث لا يتأتى وجود شيء في كيانها، أو جهازها، أو محاسبتها، أو كل ما يتعلق بها، إلا موافقاً للعقيدة ومنبثقاً عنها).**

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ . . . ﴾(49)

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾(44) .

﴿ . . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(45) .

﴿ . . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(47) .

عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال:(**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**) (صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الاحكام الباطلة ورد محدثات الامور).

هذا وبالله التوفيق